

شرح رياض الصالحين

باب الوصية بالنساء

قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: 19]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 129].

قال سَمَاحَةُ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِيمِينَ – رَحِمَهُ اللَّهُ -:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب الوصية بالنساء، يعني الوصية على أن يرفقَ بهنَّ الإنسانُ، وأن يتقيَ الله فيهنَّ.

قال الله تعالى: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: 34].

ثم استدللَّ المؤلف رحمه الله تعالى بقول الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يعني: عاشروا النساء بالمعروف.

وقال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: 129]، وهذا الخطاب لمن كان عنده زوجتان فأكثر، يُبيِّنُ اللهُ عز وجل أن

الإنسان لا يستطيع أن يعدل بين النساء ولو حرصَ؛ لأن هناك أشياء تكون بغير اختيار الإنسان؛ كالمودّة والميل، وما أشبه ذلك مما يكون في القلب.

أما ما يكون بالبدن، فإنه يمكن العدلُ فيه؛ كالعدل في النفقة، والعدل في المعاملة بأن يقسم لهذه ليلتها وهذه ليلتها، والكسوة، وغير ذلك، فهذا ممكن، لكن ما في القلب لا يمكن أن يعدل الإنسان فيه؛ لأنه بغير اختياره.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا ﴾ [النساء: 129]؛ أي: تذكروا المرأة إذا التي ملتم عنها ﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء: 129] بين السماء والأرض، ليس لها قرار؛ لأن المرأة إذا رأت أن زوجها مال مع ضررتها تعبت تعباً عظيماً، واشتغل قلبها، فصارت كالمعلقة بين السماء والأرض ليس لها قرار.

ثم قال: ﴿ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 129]؛ يعني إن تسلكوا سبيل الإصلاح وتقوى الله عز وجل، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾: يعني يغفر لكم ما لا تستطيعونه، ولكنه يؤاخذكم بما تستطيعون.

وهاتان الآيتان وغيرهما من نصوص الكتاب والسنة كلها تدل على الرفق بالمرأة، وملاحظتها، ومعاشرتها بالتي هي أحسن، وأن الإنسان لا يطلب منها حقّه كاملاً؛ لأنها لا يمكن أن تأتي به على وجه الكمال، فليغفّر وليصفح.